رسالتان للخليفة عمر بن عبد العزيز
في القضاء والقدر والرد على القدرية–المعتزلة–
عرض ودراسة

أ.د: محمد فرقاني جامعة الأمير عبد القادر

ملخص: نتج عن الفتنة التي أودت بحياة الخليفة عثمان بن عفان–رضي الله عنه– والصراع الذي نشب من بعد ذلك بين الإمام علي ومعاوية– رضي الله عنهما– إلى ظهور فرق سياسية دينية فكرية، سعى كل تيار جاهدا لإصلاح الحال، وفق منظوره، وبالوسائل المتوفرة لديه. ومن بين هذه الفرق فرقة القدرية، الذين باينوا بقية الفرق في كثير من الأمور الدينية والسياسية والفكرية، رأيت أن أعرض لموقف الخليفة عمر بن عبد العزيز من هذه الفرقة من خلال رسالتين له في هذا الشأن، أولاهما: يوضح فيها مفهوم القضاء والقدر، في رد ضمني منه على من يتعلل من الناس في حمل عجزهم على الله –عز وجل–الذي اتخذه دجاجلة السياسة وسيلة لتكريس الاستبداد، وتبرير الأخطاء والتجاوزات تجاه الأمة.

والرسالة الثانية يرد فيها على القدرية الذين زعم أتباعها أن لا قدر، والتي تكشف لنا ما كان عليه فكر هذه الفرقة المبكر من شطط، خاصة نحو ذات الله–عز وجل– في صفاته وعلمه، وإرادته سبحانه وتعالى، وهو ما ستقرؤه لاحقا.

1–التيارات السياسية والدينية والفكرية قبل استخلاف عمر بن عبد العزيز:

يعد الخوارج من أول الفرق ظهورا على الساحة السياسية الذين ساهموا في قتل الخليفة عثمان بن عفان، والإمام علي–رضي الله عنهما– الذين كفروا الإمام إضافة إلى معاوية، وأصحاب الجمل الذين كان تاريخهم مليئا بالثورات ضد خلفاء بني أمية، كما هو مليء بالانقسامات في صفوفهم، وتوالد فرقهم بمرور الزمن[1].

ثم يأتي بعدهم خصومهم من شيعة آل البيت، الذين ناصبوا بني أمية وغير بني أمية العداء، الذين يقولون أن الخلافة أصلا من أصول الدين– في زعمهم– وركنا من أركانه،

[1]– المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص121 وما بعدها؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج1، ص167، 168 وما بعدها، ص203 وما بعدها؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص72 وما بعده. ابن حزم: الفصل في الملل، ج4، ص188 وما بعدها، والملل والنحل للشهرستاني بهامشه، ج1 ص155 وما بعدها؛ محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص16 وما بعدها.

أوصى بها رسول الله– صلى الله عليه وسلم–إليه في نصوص يوردونها في هذا الشأن، وقد حاول أبناء الإمام علي–رضي الله عنهم–وشيعتم تجسيد ذلك على أرض الواقع، فقتل الحسين –رضي الله عنه– دون ذلك في كربلاء سنة 61هـ، وحفيده زيد بن علي في الكوفة سنة 121هـ[2] ولكن تحقق ذلك تم على يدي بني عمومتهم من بني العباس سنة 132هـ.

ثم تأتي بعدهم فرقة المجبرة التي أنكر دعاتها أن تكون للإنسان قدرة أصلا، لا مؤثرة ولا كاسبة، وشجع معاوية ومن جاء بعده من الخلفاء إشاعة هذا القول في المجتمع، خاصة في الشام، الذي أضحى يلهج به الخاص والعام، وراج ذكره حتى على ألسنة الشعراء في أشعارهم[3].

ونتج عن انتشار هذه الفكر أن تهافت الناس على اقتراف كل كبيرة وصغيرة، وهو الأمر الذي أنكره عليهم ابن عباس–رضي الله عنهما– في تلك الرسالة التي وجهها إلى مجبرة الشام، الذي يقول لهم فيها:«أما بعد. أتأمرون الناس بالتقوى وبكم ضل المتقون! وتنهون الناس عن المعاصي، وبكم ظهر العاصون!...هل منكم إلا مفتر على الله يحمل إحرامه عليه وينسبها علانية إليه...» [4]، منزها المولى–عز وجل– أن يأمر بالسوء والفحشاء.

ثم توسع القول بالجبر في الأقاليم الشرقية بعد الشام، وغير خلفاء بني أمية[5].

كما ظهرت على الساحة السياسة أيضا فرقة المرجئة الذي جاء ظهورها كرد فعل على ما نشرته الفرق السابقة من أفكار في المجتمع، حيث جاءت مواقفها مسالمة للجميع، الذين لم يكفر طائفة، ولا فردا، وإنما قالوا: نرجئ أمرهم إلى الله، فهو الذي يفصل بينهم يوم القيامة، ولأجل ذلك عرفوا:" بالمرجئة" [6].

---

[2]– الأشعري: المصدر السابق، ج1، ص65 وما بعدها، 113 وما بعدها؛ ابن حزم: المصدر السابق، ج4، ص179 وما بعدها، والملل والنحل بهامشه، ج1، ص195 وما بعدها، ج2 ص3 وما بعدها؛ محمد عمارة: المرجع السابق، ص199 وما بعدها.

[3]– عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص143–145، 334، 345؛ تاريخ الطبري، ج6، ص376–378. إذ تناول الشاعر أعشى همدان الجبر في قصيدته التي ألقاها أمام الحجاج مبررا به سبب فشلهم لما ثاروا مع ابن الأشعث سنة81 هـ، ومعتذرا إليه في الوقت ذاته عما كان منهم. تاريخ الطبري، ج6، ص376–378؛ الحوفي: أدب السياسة، ص149، 161، 164.

[4]– المرتضي: طبقات المعتزلة، ص12–13؛ عبد الجبار: المصدر السابق، ص163.

[5]– الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج1، ص338؛ البغدادي: الفرق بين الفرق. ص211–212.
– الشهرستاني: الملل بهامش المفصل لابن حزم، ص108–109.

[6]– البغدادي: المصدر السابق، ص202؛ الشهرستاني: ج1، ص186.

أما فلسفة مذهبهم فتقوم على مبدئهم القائل:«لا يضر مع الإيمان معصية، كما لاينفع مع الكفر طاعة»، جاعلين الإيمان بالله هو المعرفة به وبرسوله، وبجميع ما جاء من عنده فقط، أما ما سوى ذلك من أركان الإسلام، فليست كذلك، ووفق زعمهم هذا أن الإنسان الناطق بالشهادتين يعتبر مؤمنا، وإن اقترف كبائر الإثم والفواحش ما ظهر منها وما بطن، وقد زكى بني أمية أقوال هذه الفرقة بطريقة غير مباشرة، ما دامت مبادؤها تسالم الجميع، ولا تدينهم على مظالمهم وتجاوزاتهم تجاه الأمة، عكس ما يتهمهم به الخوارج والشيعة والقدرية[7].

وفي مقابل هذه الفرق، وكرد فعل لما بثته من أفكار شاذة، وما مارسته من مواقف متطرفة ضد خصومها، ظهر القدرية–المعتزلة– الذين يؤكدون على حرية إرادة الإنسان، وأحقية الأمة في اختيار خلفائها عن طريق الشورى منددين بمظالم بني أمية، الذين يقوم مذهبهم على خمسة أصول تكاملت وتوضحت بمرور الزمن هي:

أولا: العدل: وأكدوا في هذا المبدأ على حرية إرادة الإنسان ومسؤولية الأفراد عن أعمالهم، كما تناولوا بالكلام عنه مسألة العدل والتجوير بالنسبة للذات الإلهية بنفي الجور عن الله إذ لا جزاء ولا عقاب منه–جل جلاله– إلا جزاء وفاقا على ما اقترفه الإنسان.

ثانيا: التوحيد: وبسطوا فيه القول عن تنزيه الذات الإلهية عن التشبيه والتجسيم، في تفاصيل ليس هنا محل ذكرها، من ضمنها: ردودهم على بقية الفرق الإسلامية، وغير الإسلامية، ولهم زلات وسقطات في هذا الشأن ستقرؤها في رد الخليفة عليهم لاحقا.

ثالثا: الوعد والوعيد: وسفهوا فيه دعوة المرجئة الذين فصلوا فيها بين الإيمان والعمل، معتبرين بأن وعد الله حق وصدق في حق من أطاعه أدخله الجنة ووعيده أيضا حق وصدق في حق من عصاه أدخله النار، ورتبوا على هذا الأصل تفاصيل أخرى ليس هنا موضع ذكرها.

رابعا: المنزلة بين المنزلتين: وهذا الأصل هو الذي نشأ حوله الخلاف بين المرجئة من جهة، والخوارج من جهة أخرى، حول المسلم المرتكب للكبيرة الذي سبق ذكره، وهو الذي سبب ذلك الخلاف الذي أدى إلى الانشقاق بين الحسن البصري، أو قتادة، ومن يرى رأيهما، كما في بعض الروايات، في أنه منافق، وبين واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد كما في روايات أخرى، بأنه في منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن ولا هو كافر، وأطلقوا عليه صفة: "الفاسق"

---

[7]– الأشعري: المصدر السابق، ج1، ص213 وما بعدها؛ ابن حزم:الفصل، ج2، ص112، ج4، ص204 وما بعدها؛ البغدادي: المصدر السابق، ص202 وما بعدها؛محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص33 وما بعدها.

في تفاصيل وضوابط وضعوها لذلك تكلموا فيها عن مصيره يوم القيامة، خلاصتها: أنه من أهل النار إن لم يتب من فسقه، ولتميزهم بالقول عن ذلك، أو في اعتزالهم لحلقة الحسن البصري –رحمه الله– كما في أقوال أخرى، عرفوا باسم: "المعتزلة".

خامسا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:ولما كان لهذا الأصل صلة بالسياسة، فإنهم قالوا بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أفرادا وجماعات، باليد واللسان والقلب، وفق شروط وضعوها لذلك. الذين مارسوا تطبيقه في حالاته الثلاث عبر تاريخهم، ولذلك نكل بهم بنو أمية.

2–موقف القدرية من الخليفة عمر بن عبد العزيز:

آلى أمير المؤمنين على نفسه منذ الوهلة الأولى لاستخلافه على معالجة الانحراف الذي دبّ في الأمة في العقيدة والفكر، متبعا مع هذه الفرق أسلوب الحوار والمناظرة مع من يرغب منها في معرفة الحق، منهم القدرية الذين أصبح مذهبهم الفكري يثير الشبهات، خاصة في الجانب العقدي، الذي تولى الدعوة إليه مجموعة كبيرة من الرجال توزعوا في الأقاليم، خصوصا في العراق، وعلى الأخص في البصرة كمعبد الجهني، وعمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، أما في الشام فيأتي في مقدمتهم غيلان بن يونس[8]، مولى عثمان بن عفان زعيم هذه الفرقة، الذي شاع ذكره وصاحبه صالح بن سويد أثناء خلافة عمر بن عبد العزيز.

أ–موقف عمرو بن عبيد زعيم القدرية من شرعية خلافة عمر: إلا أننا إذا ما جئنا إلى تقييم علاقتهم بالخليفة لهم وجدنا موقفهم نحوه إيجابيا في مجمله، بالخصوص إمامهم عمرو بن عبيد–ت142هـ– الذي اعترف بشرعية خلافته، إذ قال–إن صح ذلك–: «أخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حقها ولا استحقاق لها، ثم استحقها بالعدل حين أخذها»[9] الذي هو أحد قواعد مذهبهم الديني والفكري والسياسي، ذلك أنه في روايات أخرى أنه يفضل عليه يزيد بن الوليد–126هـ– الذي يُعرف "بالناقص"الذي اعتنق فكرهم، ومن ثم

---

[8]– غيلان بن أبي غيلان: هو غيلان بن يونس ويقال ابن مسلم أبو مروان قبطي الأصل، مولى عثمان بن عفان. درس على يد معبد الجهني والحسن بن محمد بن الحنفية، كان ذا عبادة، وتأله، وفصاحة، وبلاغة، تتهمه المصادر المعادية له بالزندقة، والكفر، والانحراف. قتله هشام بن عبد الملك دون أن يحدد تاريخ ذلك. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج48، ص 186 وما بعدها؛ عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص229 وما بعدها؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج7، ص441.

[9]– المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص195، 226؛ تاريخ الخلفاء لمجهول، ص377–378.
– المرتضي: طبقات المعتزلة، ص121.

أعانوه على الإطاحة بالوليد بن يزيد –125–126هـ–[10].

ب–رسالة غيلان زعيم قدرية الشام إلى أمير المؤمنين يدعوه فيها إلى مذهبه: كان أول اتصال بين الرجلين– في تقديرنا– بالمراسلة الموالية التي أرسلها إليه لما سمع باستخلافه، قال أبو علي الرحبي: إني لعند عمر بن عبد العزيز، إذ جاءه البواب فأخبره، أن بالباب رجلا يحمل رسالة، فأمره بإدخاله، فأخذ رسالته فقرأ منها ثلثها، ثم قال لمن كان معه:«اسمعوا من هذا الموضع: أبصرت يا عمر وما كدت، ونظرت وما كدت، اعلم يا عمر؛ إنك أدركت من الإسلام خلقا باليا، أو رسما عافيا، فيا ميِّتٌ بين الأموات! لا ترى أثرا فتتبع، ولا تسمع صوتا فتنتفع قد خفي عليك، أميتت السنة وظهرت البدعة، وأخيف العالم فلا يتكلم، ولا يفطن الجاهل فيسأل، وربما نجت الأمة بالإمام، فانظر أي الإمامين أنت؟ ! فإن الله –تعالى– يقول: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا [11]، فهذا إمام هدى، ومن اتبعه شريكان، وأما الآخر فقال تعالى] [12]: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ [13]، ولن تجد يا عمر داعيا [يقول: تعالوا إلى النار–إذا] [14] لا يتبعه أحدٌ، ولكن الدعاة إلى النار هم الدعاة إلى معاصي الله، فهذا مثل الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين، [15]فهل وجدت يا عمر حكيما يعيب ما صنع، أو يصنع ما يعيب، أو يعذب على ما قضى، أو يقضي ما يعذب عليه؟! [أم هل وجدت رشيدا يدعو إلى الهدى ثم يضل عنه[16]]؟! أم هل وجدت رحيما يكلف العباد فوق الطاقة، أو يعذبهم على الطاعة؟! أم هل وجدت عادلا يحمل الناس على الظلم والتظالم

---

[10]–البلخي: فضل الاعتزال، ص117؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين؛ ابن حزم: الفصل في الملل، ج4، ص192 وما بعدها؛ الشهرستاني:الملل، ج1، ص54 وما بعدها؛ البلخي، ص115–119. إضافة إلى مقدمة فؤاد سيد للمصدر، ص12 وما بعدها؛ محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ص43 وما بعدها، وكتابه: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ص43 وما بعدها.

[11]– سورة الأنبياء، الآية: 73.

[12]– ما أضيف من طبقات المعتزلة للمرتضي، وفي فضل الاعتزال ناقصة.

[13]– سورة القصص، الآية: 41

[14]– ما أضيف من طبقات للمعتزلة، وفي فضل الاعتزال ناقصة.

[15]– يذكر التوحيدي الجزء الأول من هذه الفقرة إلى قوله: «ثم عذبهم عليه باختلاف ثم يقول: «فتعجب القوم من قوله، وعنده رجل، فقال: الرسالة ناقصة، لو زدنا فيها شيئا تمت، قيل: ما هو؟ وهو يقدر على خلاف ذلك، فأهدر دم غيلان». البصائر والخائر، ج1، ص532–533. وهذا الذي ذُكر غير صحيح، واستدعاء عمر له يخالف ما ذكر، وإنما كان ذلك على يد الخليفة هشام بن عبد الملك، كما هو آت ذكر ذلك عنه.

[16]– ما أثبت من طبقات المعتزلة، وفي فضل الاعتزال ناقصة.

بينهم ؟! [وهل وجدت صادقا يحمل الناس على الكذب والتكاذب بينهم[17]]؟! كفى ببيان هذا بيانا، وبالعمى عنه عمًى، ولا يغررك ما نال من البلاء الأتقياء في الخاصة والعامة، قديما ما كان ذلك، فكل ما يحدث من الزلازل يزلزل الله به عباده ليختبرهم، فما ينجو منهم إلا القليل، فلا تنظر إلى أولئك، واعلم! أنه لا ينبغي للبصير أن ينقاد للعمى، والسلام»[18].

ذلك بعض ما جاء في هذه الرسالة التي دعاه فيها غيلان إلى مذهبه بطريقة غير مباشرة، علَّه يحوله إلى مناصر لأفكاره، كالذي كان منهم مع يزيد بن الوليد–126هـ– والمأمون–198–218هـ– كما دعاه أيضا تلميحا لا تصريحا إلى عدم متابعة أسلافه في سيرتهم الجائرة في المسلمين، بنبذ فكر الجبر الذي أشاعوه في المسلمين .

ج–استعانة الخليفة بغيلان وصاحبه صالح: فاستدعاه الخليفة، فلما مثل بين يديه قال له: «أعني على ما أنا فيه أعانك الله!». فتقول بعد ذلك المصادر السنية في رواياتها عن عمرو بن مهاجر رئيس حرس الخليفة: أنه ولاه دار ضرب النقود بدمشق[19]، وعند ابن عساكر عن عمرو أيضا، أنه وصاحبه صالح بن سويد[20]، طلبا من مزاحم مولى عمر أن يتوسط لهما لدى الخليفة ليجعلهما في حرسه، فاستجاب عمر لرغبتهما، ولكن منعهما من حمل السلاح[21].

أما رواية عبد الجبار المعتزلي، فهي الأخرى عن أحد شهود العيان وهو: أبو علي الرحبي الذي سبق ذكره، الذي ذكر أن غيلان قال لعمر:«ولِّني بيع الخزائن ورد المظالم» [22]، فكان له ذلك كما ولاه بيع تركة سليمان، فكان ينادي عليها:«هلم إلى متاع الخونة، هلم إلى متاع الظلمة، تعالوا إلى متاع من خلف الرسول في أمته بغير سيرته وسنته، حتى كان فيما نادى عليه جوارب خز قيمتها ثلاثون ألف درهم[23]، وقد ائتكل بعضها، فقال غيلان: من يعذرني ممن زعم، أن هؤلاء كانوا أئمة هدى وهذا يأتكل، والناس يموتون جوعا، فمر به

---

[17]– ما أثبت أيضا من طبقات المعتزلة وفي فضل الاعتزال ناقصة.

[18]– عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص230–231؛ المرتضي: طبقات المعتزلة، ص25–26.

[19]– الفريابي: كتاب القدر، ص181–182، رقم: 279؛ الآجري: الشريعة، ص228.

– ابن بطة: الإبانة، الكتاب الثاني، م2، ص235–236، رقم: 1840.

[20] – صالح بن سويد: أبو عبد السلام القدري أخباره نادرة سوى ما ذكر عنه أنه كان صاحب غيلان، قتله هشام لما قتل غيلان. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج23، ص 334–337.

[21]– ابن عساكر: المصدر نفسه، ج6، ص361.

[22]– عبد الجبار: المصدر السابق، ص231.

[23]– هذا مبلغ غير معقول، بل مبالغ فيه، حتى ولو كان مطرزا بخيوط الذهب الخالص، وحتى ولو كانت تلك المائة دينار التي جاءت في رواية البلاذري.

هشام بن عبد الملك، فقال: أرى هذا يعيبني ويعيب آبائي، والله! لئن ظفرت به لأقطعن يديه ورجليه!»[24].

إلا أن غيلان أراد أن يتحقق من الخليفة عمر، إن كان على نهج أسلافه في القول بالجبر، أو مخالفا لهم، خاصة بعد أن بلغت مسامعه ما يروجه عنه أهل الشام، وبين ما كان يأمر به وما يفعله، مجانبا فيه من سبقه من آل بيته، فقد سأله يوما:«إن أهل الشام تزعم أنك تقول في المعاصي: أنها بقضاء الله تعالى؟

---

[24]- عبد الجبار، ص231؛ المرتضي: طبقات المعتزلة، ص26. ما نسب إلى غيلان من قول بهذه الصيغة المثيرة التحريضية أمر مشكوك فيه، ذلك أن هشام بن عبد الملك قد قربه إليه بعد استخلافه، واصطحبه معه إلى الحج سنة 106هـ، وأسند إليه أمر الفتوى هناك، ولكن لما أساء القول فيه انقلب عليه في النهاية لدواعي سياسية ودينية، وبتحريض من خصومه للخليفة على قتله لمباينة أفكاره لأفكارهم، فهذا المدائني يضع أيدينا على الأسباب السياسية التي كانت وراء مقتله وصاحبه صالح، يقول: «وكان غيلان كاتبا من كتابهم، وهو مولاهم، فترك خدمتهم، وبسط لسانه فيهم بسوء القول» وفي رواية أخرى عن المدائني أيضا تكمل ما سبق يقول فيها: «إن غيلان وصاحبه كانا بأرمينية يتكلمان في هشام، فلما شخصا عنها- وكان قد وضع عليهما عيونًا-» فلما قدما دمشق أخذا «فدس شهودا شهدوا عليهما فصنع بهما ما صنع، ثم صلبهما». البلاذري: أنساب الأشراف، ج8، ص390، 419.

وتمتزج الأسباب الدينية والسياسية أكثر في رده على هشام لما سأله: «زعمت أن ما في الدنيا ليس عطاء من الله لنا؟ فقال له غيلان: أعوذ بجلال الله ! أن يأتمن خوانا، أو يستخلف الخلفاء من خلقه فجارا، إن أئمته القوامون بأحكامه، الراهبون لمقامه، الذين كايدوا بالعدل الدول، وخافوا مقاما لا يجدون عنه حولا، ولا يتعللون بالعلل... ولم يول الله وَثَّابَا على الفجور، ولا رَكَّابا للمحظور، ولا شَهَّادا بالزور، ولا شَرَّابا للخمور». عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص233.

وهذا نقد لاذع لسيرة خلفاء بني أمية، ولسياستهم في الأمة، وردّا منه على إفشائهم للجبر بين الناس، وهو قول بنسف شرعية حكمهم من الأساس، ويضعهم في قفص الاتهام.

هذه الآراء الجريئة من غيلان كانت كافية لأن تطيح برأسه ورأس صاحبه صالح، كما أطاحوا برؤوس الخوارج الذين قالوا في خلفاء بني أمية مثلما قال غيلان.

كما يظهر السبب الديني في مقتله في قوله لصاحبه صالح يُسلِّيه: «مقامك مقام شريف، ومتجرك متجر ربح، وإنما نُقم أن قلنا: إن ربنا منصف لا يجور». عبد الجبار: المصدر السابق، ص233. فأمر هشام ببسط العذاب عليه، ثم صلبه دون أن تحدد المصادر تاريخ ذلك. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج7، ص441؛ البخاري: التاريخ الكبير، ج7، ص102-103. عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص233؛ الفريابي: كتاب القدر، ص181-182، رقم: 279؛ الآجري: الشريعة، ص228.

فقال: ويحك يا غيلان! أو لست تراني أُسمي مظالم بني مروان ظلما!»[25]. نافيا عن نفسه ما يتقوله عنه أهل الشام من أن الظلم بقضاء الله وقدره، كما جاء في رواية المرتضي [26] ولكن لا يعني أنه من جماعة القدرية كما خطر في ذهن غيلان– فيما نعتقد– ومن نسبه إلى هذه الفرقة.

فهو في هذه الحالة كما تبينه رسالته اللاحقة أن القدري هو من يثبت القدر لنفسه دون ربه –عز وجل– وأنه يقدر أفعاله دون خالقه، وقد بين أبو الحسن الأشعري ذلك في كتابه الإبانة[27]، وكأني به بلور ما كتب به الخليفة عمر بن عبد العزيز في رسالته الآتية، وكذا ما كتبه عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، في رسالته التي سنشير إليها لاحقا.

ثم إن غيلان استغل الحرية التي منحت له ولغيره فأكثر من الكلام عليه والدعوة إليه، فاستقدمه وهو في النزع الأخير من حياته فجادله، وعنفه، فأظهر التخلي عن الخوض في القدر أمامه ، فلما توفي أكثر من الخوض فيه[28]

3–موقف الخليفة العام من القدرية: الحقيقة والواقع أن الحكم الشرعي نحو أتباع هذا المذهب، الذي كان يراه في حقهم بقي يسوده الاضطراب، والغموض، والتضارب في أحيان أخرى، فقد أخبر عنهم بإنكارهم للقدر، فأمر أن يرفق بهم ويبين لهم سوء ما اعتقدوه، فقيل له:«لقد اتخذوه دينا يدعون إليه الناس».

ففزع لذلك وقال:«أولئك أهل أن تسل ألسنتهم من أقفيتهم سَلاًّ، هل طار ذباب بين السماء والأرض إلا بمقدار[أي بقدر]»[29].

وشاور عمر عمَّ الإمام مالك أبو سهيل نافع بن مالك في أمرهم، فاقترح عليه أن يستتيبهم، فإن أبوا قتلوا على وجه البغي، فتطابق ذلك مع ما كان يراه في حقهم[30].

---

[25]– عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص339.

[26]– طبقات المعتزلة، ص121. لا ننسى ضغط خصوم غيلان على الخليفة هشام الذين أفتوه بجواز قتله كما جاء ذكر ذلك في المصادر السابقة التي أظهرته في جداله لخصومه بمظهر الضعيف العاجز الذي لا حول له ولا قوة، وهو البليغ الفصيح، وكأني بمؤلفيها تعمَّدوا عدم ذكر ذلك عنه تبريرا لمقتله.

[27]–الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص 181وما بعدها

[28] – أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة ، 1977، ص168

[29]– الفريابي: كتاب القدر، ص187، رقم293؛ الآجري: الشريعة، ص230.

– ابن بطة: الإبانة، الكتاب 2، م2، ص238–239. رقم: 1849

إلا أنّه بقي مترددا في أمرهم خضوعا منه للأمر الواقع الذي كان يراه، ويشاهده، ويتعامل معه، سالكا معهم أسلوب الغلظة والشدة بالقول، احتياطا منه لنفسه أن يظلم أحدا بسفك دم امرئ مسلم على وجه التأويل والاجتهاد، ولذلك جاء عنه رأي آخر نحوهم وهو: نفيهم من ديار المسلمين إن لم يتوبوا من قولهم هذا[31].

وبعد تحرينا عن ذلك لم نجد أنه أمر بقتل أحد من أتباع هذه الفرقة، أو ممن خالفه في الرأي طوال خلافته، وحتى الخوارج، الذين قد جمعوا بين سل سيف البغي والتطرف، وسوء الرأي في مخالفيهم، لم يأمر بسفك دمائهم، وإنما عفا على من تاب منهم، أما من بقي مصرا على رأيه، غير شاهر لسيفه على غير فساد في الأرض، ولا ظلم لأهل القبلة ولا لأهل الذمة، فلا تثريب عليه، ومن أبى وبقي مصرا على رأيه وقبض عليه أمر بسجنه حتى يقلع من رأي السوء الذي يعتنقه [32].

لكنه استعمل معهم ما استعمله مع الخوارج لحملهم على التخلي عن آرائهم، كالحوار ، والمناظرات، والرسائل يكتبها إلى ولاته لتقرأ على المسلمين في الأقاليم، ولو كان له معهم–ولو أدنى شيء من العنف– لما مدحه عمرو بن عبيد كما أشرنا إليه فيما سبق، ولما زعموا أنه منهم كما ذكر ذلك عبد الجبار. ومن هذه الرسائل التي كتب بها إلى ولاته:

4–رسالتي أمير المؤمنين يوضح فيهما أمر القدر ويرد على القدرية:

1–رسالة أمير المؤمنين إلى عدي بن أرطأة يرد عليه فيها لما سأله عن أمر القدرية:

–رسالة عدي: ولما كانت البصرة أحد مواطن ظهور القدرية –المعتزلة– فإن احتدام الصراع بين أفكارهم وأفكار غيرهم هناك دفع بوالي البصرة عدي بن أرطأة–99–102هـ– أن يستشير الخليفة عمر في أمرهم، كتب إلى عمر بن عبد العزيز:« إن قبلنا قوما يقولون لا قدر، واكتب إلي برأيك فيهم،واكتب إلي بالحكم فيهم ».

–رد الخليفة عليه: «فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عدي بن أرطأة، أما بعد.

---

[30]– الإمام مالك: المدونة، ج1، ص410 (كتاب الجهاد. في الخوارج).

– الموطأ، ص649 (كتاب الجامع، النهي عن القول بالقدر)؛ ابن سعد: الطبقات، م5، ص283.

– الفريابي: كتاب القدر، ص179، 180، 181، رقم: 273، 275، 276، 277.

[31]– الفريابي: ص222–223 رقم: 397؛ ابن الجوزي: سيرة عمر، ص84.

[32]–عبد الرزاق: المصنف، ج10، ص 118 (كتاب العقول. باب: قتال الحروراء). ابن عبد الحكم: سيرة عمر، ص 146–147؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج8، ص 136–137.

فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه وترك ما أحدث المحدثون[33]، مما قد جرت سنته، وكُفُوا مؤونته، فعليكم بلزوم السنة، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ، والزلل، والحمق، والتعمق[34]، فارض لنفسك بما يرضى به القوم لأنفسهم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر ناقد كفوا، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى بفضل–لو كان– فيه أجر، فلئن قلتم: أمر حدث بعدهم، ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سُنَّتهم، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محسِّر[35]، لقد قصر عنهم آخرون فضلُّوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم. [كتبت[36]] تسألني عن القدر؟ على الخبير– بإذن الله– سقطت.

ما أحدث المسلمون محدثة، ولا ابتدعوا بدعة، هي أبين أمرا، ولا أثبت من القدر ولقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء، يتكلمون به في كلامهم ويقولون به في أشعارهم، يعزون به أنفسهم عن مصائبهم، ثم جاء الإسلام فلم يزده إلا شدة وقوة، ثم ذكره رسول الله في غير حديث، ولا حديثين، ولا ثلاثة[37]، فسمعه المسلمون من رسول الله فتكلموا فيه حياة رسول الله وبعد وفاته، يقينا وتصديقا وتسليما لربهم، وتضعيفا لأنفسهم، أن يكون شيئا من الأشياء لم يحط به علمه، ولم يحصه كتابه، ولم ينفذ فيه قدره؛ فلئن قلتم: قال الله في كتابه: كذا وكذ؟! ولم أنزل الله آية كذا وكذا؟ ! لقد قرؤوا منه ما قد قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم، ثم قالوا بعد ذلك: كله كتاب قدر، وكتب الشقوة وما يقدِّرْ يكن، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا، والسلام عليك.

كتبت إلي تسألني الحكم فيهم: فمن أوتيت به فأوجعه ضربا، واستودعه الحبس، فإن تاب من رأيه السوء وإلا فاضرب عنقه»[38].

---

[33]– انظر الصيغة في الروايات التالية أيضا.

[34]– نهاية رواية ابن أبي الدنيا «...والحمق، فإن السابقين عن علم وقفوا، وببصر ناقد كفوا، وكانوا هم أقوى على البحث بحثوا» ذم الدنيا، ص104، رقم:213.

[35]– في الروايات الآتية "مجسر" وفي بعضها: "غير محسن".

[36]– في المصدر: "كنت" وما أثبت من بقية الروايات.

[37]– يمكن التحقق من ذلك بمراجعة مفتاح كنوز السنة لمحمد فؤاد عبد الباقي. والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لفنسنك.

[38]– الآجري: الشريعة، ص233–234.

ولم نجد فيما بين أيدينا من مصادر أنه نفذ هذا الأمر في حقهم، وهو ما كنا قد ألمحنا إليه فيما سبق.

أ–رواية أخرى لما سبق: في حين جاء ما سبق منسوبا إلى الماجشون عبد العزيز بن عبد الله بعد أن نسبتها مصادر كثيرة إلى الخليفة عمر، رأيت من الحق أن أثبت الروايتين في إطار على وجه المقارنة، وليتضح الأمر أكثر أدرجت في آخرها قسما من رسالة الماجشون في الهامش حتى يتضح الأمر وبالتالي يتيسر الحكم على الرسالة لمن هي؟. قال سفيان الثوري: أن عاملا لعمر بن عبد العزيز لم يذكر مكان ولايته كتب إليه يسأله عن القدر، فكتب إليه:

رواية رسالة عمر بن عبد العزيز	رواية رسالة عبد العزيز بن عبد الله[39]
1–«أما بعد.	1–أما بعد.
2–أوصيك بتقوى الله .	2–فإني موصيك بتقوى الله.
3–والاقتصاد في أمره	3–والاقتصاد في أمره.
4–وإتباع سنة نبيه .	4–وإتباع سنة رسول الله .
5–وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت سنته وكُفُوا مئونته.	5–وترك ما أحدث المحدثون في دينهم مما قد كفوا مئونته وجرت فيهم سنته.
6–فعليك بلزوم السنة فإنها لك– بإذن الله– عصمة.	6–ثم اعلم أنه لم تكن بدعة قط إلا وقد مضى قبلها ما هو عبرة فيها ودليل عليها.
7–ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها.	7–[40]فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة.
8–فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ، والزلل والحمق والتعمق.	8–وأن السنة إنما جُعلت سنة ليستن بها ويقتصر عليها، وإنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزلل، والخطأ والحمق والتعمق.
9–فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم	9–فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم
10–[41] فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ قد كَفُّوا[42].	10–فإنهم عن علم وقفوا وببصر قد كفوا.

[39]– عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون: مولى آل الهدير التيمي، كان من المعتزلة، ثم تخلى عن مذهبهم. كان فقيها ورعا، كثير الحديث، ثقة، توفي ببغداد سنة 164هـ، ابن سعد: الطبقات، م7، ق2، ص68؛ المزي: تهذيب الكمال، ج18، ص152–157.

[40]– بداية نص الماجشون عند ابن قدامة: «عليك بلزوم السنة...».

11–ولهم على كشف الأمور كانوا أقدر.	11–ولهم عن كشفها كانوا أقوى.
12–وبفضل ما فيه كانوا أولى.	12–وبفضل لو كان فيها أحرى، وأنهم لهم السابقون.
13–فإن الهدى ما أنتم عليه؟ لقد سبقتموهم إليه.	13–فلئن كان الهدى ما أنتم فيه؟ لقد سبقتموهم إليه؟!
14–ولئن قلتم: إنما حدث بعدهم. ما أحدثه، إلا من ابتغى غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم.	14–ولئن قلت: حَدَثَ حَدَثٌ بعدهم، ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم.
15–فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي.	15–ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بما يشفي.
16–فما دونهم من مقصر وما فوقهم من مجسر.	16–فما دونهم مقصر، ولا فوقهم مجسر.
17–قد قصر قوم دونهم فجفوا وطمح عنهم أقوام فغلوا.	17–لقد قصر أناس دونهم فجفوا وطمح آخرون عنهم فغلوا.
18–وأنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم[44].	18–وأنهم بين ذلك لعلى هُدًى مستقيم[43].
19–كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر، فعلى الخبير– بإذن الله–وقعت.	19–سألتني عن القدر وما جحد منه من جحد، فعلى الخبير –إن شاء الله– سقطت وذلك الذي أردت.
20–ما أعلم أحدث الناس من محدثة، ولا ابتدعوا من بدعة هي أبين أمرًا ولا أثبت أثرا من الإقرار بالقدر.	20–فما أعلم أمرا مما أحدث الناس فيه محدثة، أو ابتدعوا فيه بدعة أبين أثرا، ولا أثبت أصلا، ولا أكثر –والحمد لله– أهلا من القدر.
21–لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء، يتكلمون به في كلامهم، وفي شعرهم، يعزون به أنفسهم على ما فاتهم.	21–لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء ما أنكروا من الأشياء، يذكرونه في شعرهم، وكلامهم، ويعزون به أنفسهم فيما فاتهم.
22–ثم لم يزده الإسلام إلا شدة.	22–ثم ما زاده الإسلام إلا شدة.

---

(41)– بداية نصه أيضا المتعلق برسالة عمر: «قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا...».

(42)– نهاية رواية أبي نعيم وابن الجوزي الأولى: «وببصر قد كفوا».

– الإمام أحمد: «ببصر ناقد قد كفوا، وكانوا هم أقوى على البحث لو بحثوا» وينتهي.

(43)– نهاية رسالة الماجشون في رواية ابن قدامة، وكذا رواية القرطبي، وابن وضاح.

(44)– ابن قدامة: نهاية رسالة عمر بن عبد العزيز عنده. وكذا في ذم التأويل، والمنظرة في القرآن

23–ولقد ذكره رسول الله في غير حديث، ولا حديثين.	23–لقد كلم[45] به رسول الله في غير موطن، ولا اثنين، ولا ثلاثة، ولا أكثر من ذلك.
24–قد سمعه المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته.	24–وسمعه المسلمون منه وتكملوا به في حياته وبعد وفاته .
25–يقينا وتسليما لربهم، وتضعيف لأنفسهم، أن يكون شيء لم يحط به علمه، ولم يحصه كتابه، ولم يمض فيه قدره.	25–يقينا وتسليما، وتضعيف لأنفسهم، وتعظيما لربهم، أن يكون شيء لم يحط به علمه، ولم يحصه كتابه، ولم يمض به قدره.
26–وأنه مع ذلك لفي محكم كتابه، لَمِنْهُ اقتبسوه منه، ولمنه تعلموه.	26–إن ذلك مع ذلك لفي محكم كتابه، لمنه اقتبسوه، ولله علموه.
27–ولئن قلتم: لم أنزل الله آية كذا؟ ولم قال الله كذا؟	27–فلئن قلتم: أين آية كذا؟ ولم قال الله كذا؟
28–لقد قرءوا منهم[46] ما قرأتهم، وعلموا من تأويله ما جهلتم.	28–لقد قرءوا منه ما قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم.
29– وقالوا بعد ذلك كله بكتاب وقدر، ما قدر يكن[47].	29–ثم آمنوا بعد ذلك به كله بالذي جحدتم.
30–وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.	30–فقالوا: قدر وكتب، وكل شيء بكتاب وقدر، ومن كُتبت عليه الشقوة.
31–ولا نملك لأنفسنا ضرٌّ ولا نفع.	31–وما شاء الله كان وما شاء لم يكن –ولا حول ولا قوة إلا بالله–.
32–ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا»[48].	32–ولا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا –إلا ما شاء

---

(45)– كذا جاءت ولعلها «تكلم».

(46)– كذا جاءت وهو تحريف، والصحيح: "منه" كما في الروايات الأخرى.

(47)–أبو الفضل المقرى: أحاديث في ذم الكلام وأهله، م 5، ص22–26 رقم:804

(48)– محمد بن بطة: الإبانة، الكتاب الثاني، م2، ص231–233، رقم: 1833 وبذلك تنتهي رواية رسالة عمر بن عبد العزيز وهي نهاية نشك أن تكون بهذه النهاية. ونهاية رواية صاحب مرهم العلل المضلة" وبعد ذلك ذهبوا"، في حين تزيد الرسالة المنسوبة إلى عبد العزيز بن عبد الله على ذلك بما هو مذكور. الإمام أحمد: الزهد، ص360؛ أبو نعيم: الحلية، ج5، ص338؛ عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي: كتاب مرهم العلل المضلة، ص:132– 133.

– تفسير القرطبي، ج 7، ص 139؛ محمد بن وضاح القرطبي: البدع والنهي عنها. ص37–38

	الله–.
	33–ثم رغبوا مع قولهم هذا ورهبوا

وأمروا ونهوا، وحمدوا ربهم، على الحسنة، وَلاَمُوا أنفسهم على الخطيئة، ولم يَعْذُروا أنفسهم بالقدر، ولم يملكوها فعل الخير والشر، فعظموا الله بقدرة، ولم يعذروا أنفسهم به، وحمدوا الله على مِنِّهِ ولم ينحلوه أنفسهم دونه، وقال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[49] وقال: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [50]فلما كان الخير منه وقد نحلهم عمله، فكذلك كان الشر منه، وقد مضى به قدره، وإن الذي أمرتك بإتباعهم في القدر لأهل التنزيل الذين تلوه حق تلاوته، فعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وكانوا بذلك من العلم في الراسخين، ثم ورثوا علم ما علموا من القدر وغيره من بعدهم، فما أعلم أمرا شك فيه أحد من العالمين، (لا يكون أعظم الدين) [51] أعلى ولا أفشى، ولا أكثر، ولا أظهر من الإقرار بالقدر، لقد آمن به الأعرابي الجافي والقروي القاري، والنساء في ستورهن، والغلمان في حداثتهم، ومن بين ذلك من قوي المسلمين وضعيفهم، فما سمعه سامع قط فأنكره، ولا عرض لمتكلم قط إلا ذكره، لقد بسط الله عليه المعرفة، وجمع عليه الكلمة، وجعل على كلام من جحده النكرة، فما من جحده ولا أنكره فيمن آمن به وعرفه من الناس إلا كأكلة رأس. فالله الله! فلو كان القدر ضلالة ما تكلم به رسول الله ولو كانت بدعة، فعلم المسلمون متى كانت، فقد علم المسلمون متى أحدثت المحدثات والبدع والضلالات، وإن أصل القدر لثابت في كتاب الله تعالى يعزي به المسلمين في مصائبهم، بما سبق منها في الكتاب عليهم، يريد بذلك تسليتهم، ويثبت به على الغيب يقينهم، فسلموا لأمره وآمنوا بقدره، وقد علموا أنهم مبتلون، وأنهم مملوكون غير مملكين، ولا موكلين، قلوبهم بيد ربهم لا يأخذون إلا ما أعطى، ولا يدفعون عن أنفسهم إلا ما قضى، قد علموا أنهم إن وَكِلَهُم إلى أنفسهم ضاعوا، وإن عصمهم من شرها أطاعوا، لهم بذلك من نعمته عارفون كما قال نبيه وعبده الصديق ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ

– ابن الجوزي: سيرة عمر؛ ابن قدامة: مجموع فيه إثبات صفات العلو، رسالة عمر بن عبد العزيز، ص174–175، رسالة عبد العزيز بن عبد الله، ص245–246؛ عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي: حكاية المناظرة في القرآن، ص 45 عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي: ذم التأويل، ص 33، رقم: 67

[49]– سورة المائدة، الآية: 85.

[50]– سورة البقرة، الآية: 59 ،الأعراف، الآية: 165، سورة العنكبوت، الآية: 34.

[51]– «ما بين القوسين غير مفهوم» بذلك لاحظ المحقق.

عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ ﴾[52] ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[53]. فتبرأ إلى ربه من الحول والقوة، وباء مع ذلك على نفسه بالخطيئة، فكانت لهم فيه أسوة، وكانوا له شيعة، لم يجعل الله تعالى القدر والبلاء مختلفا في صدورهم، ومنع الشيطان أن يدخل الوسوسة عليهم، فلم يقولوا: كيف يستقيم هذا؟! قد علموا أن الله هو ابتلاهم، وأن قدره نافذ فيهم، ليس هذا عندهم بأشد من هذا، ولا يوهن هذا عندهم هذا، يحتالون لأنفسهم كحيلة من زعم أن الأمر بيده، ويؤمنون بالقدر إيمان من علم أنه مغلوب على أمره، فلم يُبَطِّيهم الإيمان بالقدر عن عبادته، ولم يلقوا بأيديهم إلى التهلكة من أجله، ولم يخرجهم الله بالبلاء من ملكه، فهم يطلبون ويهربون، وهم على ذلك بالقدر يوقنون، لا يأخذون إلا ما أعطاهم، ولا ينكرون أنه ابتلاهم، كذلك خلقهم وبذلك أمرهم، يضعفون إليه في القوة ويقرون له بالقدرة والحجة، لا يحملهم تضعيفهم أنفسهم أن يجحدوا حجته عليهم، ولا يحملهم عملهم بعذره إليهم أن يجحدوا أن قدره نافذ فيهم، هذا عندهم سواء، وهم به عن غيره أغنياء، وقد عصمهم الله تعالى من فتنة ذلك، فلم يفتحها عليهم وفتحها على قوم آخرين، لبسوا[54] أنفسهم عليهم ما يلبسون، فهم هناك في غمرتهم يعمهون، لا يجدون حلاوة الحسنة فيما قدر عليهم من المصيبة حين زعموا أنهم في ذلك مملوكون أن يقدموها قبل أجلها، ويزعمون أنهم قادرون عليها، فسبحان الله! ثم سبحان الله! فهلم يا عباد الله إلى سبيل المسلمين التي كنتم معهم عليها فانبحستهم[55] بأنفسكم دونها، فتفرقت بكم السبل عنها، فارجعوا إلى معالم الهدى من قريب التحسر، والتناوش من مكان بعيد، فقولوا كما قالوا، واعملوا كما عملوا، ولا تفرقوا بين ما جمعوا، ولا تجمعوا بين ما فرقوا، فإنهم قد جُعِلوا لكم أئمة وقادة، وحملوا إليكم من كتاب الله وسنة رسول الله ما هم عليه أمناء، وعليكم فيما جحدتم منه شهداء، فلا تجحدوا ما أقروا به من القدر فتبتدعوا، ولا تشدوه بغيره فتكلفوا، فإني لا أعلم أحدا أصح قلبا في القدر ممن لم يَدْر أن أحدا قال فيه شيئا، فهو يتكلم به غضا جديدا لم تدنسه الوساوس، ولم يوهنه الجدل ولا التباس، وبذلك فيما مضى صح في صدر الناس. فاحذروا هذا الجدل فإنه يقربكم إلى كل موبقة، ولا يسلمكم إلى ثقة، ليس له أجل ينتهي إليه، وهو يدخل في كل شيء، فالمعرفة به نعمة،

---

[52]– سورة يوسف، الآية: 33.

[53]–يوسف، الآية: 53.

[54]– لاحظ المحقق في الهامش: «في "م" لبِّسوا على أنفسهم».

[55]–كذا جاءت، ولعلها فاقتصرت أنفسكم عليها، أو حبستم أنفسكم.

والجهالة به غرة، وعلامات الهدى لنا دونه، من ركبه أرداه وترك الهدى وراءه، بَيِّنٌ أثره وقريب مأخذه، لا يكلف أهله العويص والتشقيق. ثم أعلم أنه ليس للقرآن موئل مثل السنة، فلا يسقطن ذلك عنك فتحير في دينك وتتيه في طريقك [56]«كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ »[57].

مما سبق عرضه يظهر لك توافق ما كتب به عمر بن عبد العزيز مع ما نسب إلى الماجشون، فلمن إذن الرسالة؟ إذا ما نظرنا إلى رسالته المشار إلى بدايتها في الهامش التي تخالف كل المخالفة ما كتب به عمر الذي يؤكده سؤال عدي بن أرطاة له عن القدر، ورده عليه كما في الرواية الأولى، ولو أن الرواية الثانية التي لم يشر فيها صراحة لمن كتب بذلك إلا أنها تلتقي ما جاء في الرواية الأولى، مع العلم أن أغلب من ذكر روايات رسالتي عمر أو سواء تلك القصيرة التي أشرنا إلى بدايتها ونهايتها في الهامش كانت من طريق، سفيان الثوري، أو كما في رواية أخرى له عن أبي داود الحفري الذي هو أحد شيوخه، فإذا كانت الرسالة المثبتة حقا أنها للماجشون، فلماذا يكرر قوله في القدر والسائل واحد؟ فمن غير الممكن أن يكتب برسالتين مختلفتين في أمر واحد وسائل واحد وهذا هو الذي جعلنا نشك في الرسالة المثبة في المتن إلى عبد العزيز بن عبد الله، بل نسبتها إلى الخليفة أصح.

---

[56] سورة الأنعام، الآية: 71.

[57]– ابن بطة: الإبانة، الكتاب الثاني، م2، ص247–252، رقم: 1853. ولعبد العزيز بن عبد الله الماجشون رسالة أخرى تباين كل المباينة الرسالة المنسوبة إليه والمثبتة في المتن ، وإليك جزءا قصيرا من أول هذه الرسالة الذي لم يذكر ابن بطة لمن كتب بها الماجشون. قال أبو صالح عبد الله بن صالح:« حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون قال: « أما بعد، فإنك سألتني أن أفرق لك في أمر القدر، ولعمري لقد فرق الله تعالى فيه ﴿ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]، فأعلمنا أن له الملك والقدرة، وأن له العذر والحجة، ووصف القدر تملكا والحجة إنذارا، ووصف الإنسان في ذلك محسنا، ومسيئا، ومقدورا عليه, ومعذورا عليه، فرزقه الحسنة وحمده عليها، وقدر عليه الخطيئة ولامه فيها.....». ابن بطة: الإبانة، الكتاب الثاني، م2، ص240–247، رقم: 1852.

ب–رده على من كتب إليه من القدرية ينفي قضاء الله وقدره:

ولكن يظهر أن غير غيلان[58] قد كتب إليه يوضح له أمر القدر وفق مذهبهم، وهذا الذي يستنبط من رده عليهم في هذه الرسالة التي لم يذكرها كاملة غير أبي نعيم الأصفهاني في كتابه حلية الأولياء، كما أشار إليها غير واحد من العلماء منهم: **ابن أبى حاتم** الذي أورد جزءا قصيرا منها في تفسيره ، وابن الجوزي في كتابه سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ذكر منها ما يقرب من صفحة، قال عنها:« وهذه رسالة مروية عن عمر بن عبد العزيز... وجدت أكثر كلماتها لم تضبطها النقلة على الصحة، فانتقيت منها كلمات صالحة»، وأشار إليها الشيخ أبي منصور البغدادي في كتابه: الفرق بين الفرق، حيث قال:«أول متكلمي أهل السنة من التابعين عمر بن عبد العزيز، وله رسالة بليغة في الرد على القدرية »، ومصادر . وإليك الرسالة كما جاءت في حلية الأولياء. فعن «سليم بن نفيع القرشي، عن خلف أبي الفضل القرشي عن كتاب عمر بن عبد العزيز:

إلى النفر الذين كتبوا إلي بما لم يكن لهم بحق في رد كتاب الله تعالى، وتكذيبهم بأقداره النافذة في علمه السابق، الذي لا حد له إلا إليه، وليس لشيء منه مخرج، وطعنهم في دين الله، وسنة رسوله القائمة في أمته، أما بعد.

فإنكم كتبتم إلي بما كنتم تسترون منه قبل اليوم في رد علم الله، والخروج منه إلى ما كان رسول الله يتخوف على أمته من التكذيب بالقدر[59]، [60]وقد علمتم أن أهل السنة كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة، وسيقبض العلم قبضا سريعا [61]، وقول عمر بن الخطاب– وهو يعظ الناس–« إنه لا عذر لأحد عند الله بعد البينة بضلالة ركبها حسبها هدًى، ولا في

---

[58]– لم تشر المصادر إلى أسماء هؤلاء الذين كتبوا إليه، ومن غير المؤكد أن ننسب ذلك إلى غيلان زعيم القدرية في الشام لأن الدلائل التي تثبت ذلك غير متوفرة، رغم أن غيلان كتب إليه بالرسالة التي سبقت الإشارة إليها.

[59]– التكذيب بالقدر ورد في عدة أحاديث منها ما أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–:«ما هلكت أمة قط حتى تشرك بالله، وما أشركت أمة بالله حتى يكون أول شركها التكذيب بالقدر». المعجم الصغير ج2، ص104–10؛ وابن ماجه في سننه عن جابر باختلاف، م1، ص35 (المقدمة. باب: القدر)؛ وأخرجه أبو داود في سننه باختلاف، ج2، ص270 (كتاب القدر. باب: القدر).

[60]– بداية نص ابن الجوزي: «أما بعد، فقد علمتم...».

[61]–« عن الزهري قال: كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضا سريعا، فنعشُ العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله». سنن الدارمي، ج1، ص 58. رقم:96؛ ابن بطة: الإبانة الكبرى، ج1، ص319– 320، رقم:159، 160.

هدي تركه حسبه ضلالة، قد تبينت الأمور وثبتت الحجة، وانقطع العذر»[62] فمن رغب عن أنباء النبوة، وما جاء به الكتاب تقطعت من يديه أسباب الهدى، ولم يجد له عصمة ينجو بها من الردى،، وإنكم ذكرتم أنه بلغكم أني أقول: إن الله قد علم ما العباد عاملون، وإلى ما هم صائرون، فأنكرتم ذلك علي وقلتم: إنه ليس يكون ذلك من الله في علم حتى يكون ذلك من الخلق عملا، فكيف ذلك كما قلتم؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ [63]، يعني عائدين في الكفر، وقال تعالى ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[64]، فزعمتم بجهلكم في قول الله تعالى ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [65]، أن المشيئة في أي ذلك أحببتم فعلتم، من ضلالة أو هُدي؟ والله تعالى يقول ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[66]، فبمشيئة[67] الله لهم شاءوا، ولو لم يشأ لم ينالوا بمشيئتهم من طاعته شيئا، قولا ولا عملا، لأن الله تعالى لم يملك العباد ما بيده، ولم يفوض إليهم ما يمنعه من رسله، فقد حرصت الرسل على هدي الناس جميعا، فمن اهتدى منهم إلا من هداه الله، ولقد حرص إبليس على ضلالتهم جميعا، فما ضل منهم إلا من كان في علم الله ضالاً، وزعمتم بجهلكم أن عِلْمُ الله تعالى ليس بالذي يضطر العباد إلى ما عملوا من معصيته، ولا بالذي صدهم عما تركوه من طاعته، ولكنه بزعمكم كما علم الله أنهم سيعملون بمعصيته كذلك، علم أنهم سيستطيعون تركها، فجعلتم علم الله لغوا، تقولون: لو شاء العبد لعمل بطاعة الله، وإن كان في علم الله أنه غير تارك لها، فأنتم إذا شئتم أصبتموه، وكان علما، وإذا شئتم رددتموه، وكان جهلا، وإن شئتم أحدثتم من أنفسكم علما ليس في علم الله، وقطعتم به علم الله عنكم، وهذا ما كان ابن عباس يعده للتوحيد نقضا، وكان يقول:« إن الله لم يجعل فضله ورحمته هَمْلاً بغير قسم منه ولا اختيار، ولم يبعث رسله

---

[62]–نهاية قول عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– كما جاء عند ابن الجوزي، وأورده بأطول مما ذكر. مناقب عمر بن الخطاب، ص183–184، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، م3، ص759–760؛ وانظر:أبو يوسف: الخراج، ص13. وجاء في أخبار المدينة لابن شبة «أيها الناس، لا نجدن أحدا بعد السنة في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى ركبه حسبه ضلالة، قد بلغت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر». ج2، ص 12.

[63]– سورة الدخان، الآية: 15.

[64]– سورة الأنعام، الآية: 28.

[65]– سورة الكهف، الآية: 29.

[66]– سورة التكوير، الآية: 29.

[67]– ابن الجوزي: «فبمشيئته لهم شاءوا. وقد حرصت الرسل...»

بإبطال ما كان في سابق علمه»[68]، فأنتم تقرون في العلم بأمر وتنقضونه في آخر، والله تعالى يقول: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَا ﴾[69]. فالخلق صائرون إلى علم الله، ونازلون عليه، وليس بينه شيء هو كائن حجاب يحجبه عنه، ولا يحول دونه، إنه عليم حكيم، وقلتم: لو شاء الله لم يفرض بعمل بغير ما أخبر الله في كتابه عن قوم ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [70]وأنه قال: ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيـ ﴾[71]. فأخبر أنهم عاملون قبل أن يعملوا، وأخبر أنه معذبهم قبل أن يخلقوا.

وتقولون أنتم: إنهم لو شاءوا خرجوا من علم الله في عذابه إلى ما لم يعلم من رحمته لهم، ومن زعم ذلك فقد عادى كتاب الله برد، ولقد سمَّي الله تعالى رجالا من الرسل بأسمائهم وأعمالهم في سابق علمه، فما استطاع آباؤهم لتلك الأسماء تغييرا، وما استطاع إبليس بما سبق لهم في علمه من الفضل تبديلا، فقال: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّا ﴾[72]، فالله أعز في قدرته وأمنع من أن يملّك أحدا إبطال علمه في شيء من ذلك، فهو مسمى لهم بوحيه الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِ ﴾[73]، أو أن يشرك في خلقه أحدا، أو يدخل في رحمته من قد أخرجه منها، أو أن يخرج منها من قد أدخله فيها، ولقد أعظم بالله الجهل من زعم أن العلم كان بعد الخلق، بل لم يزل الله وحده بكل شيء عليما، وعلى كل شيء شهيدا قبل أن يخلق شيئا، وبعد ما خلق، لم ينقص علمه في بدئهم ولم يزد بعد أعمالهم ولا بحوائجه[74] التي قطع بها دابر ظلمهم، ولم يملك إبليس هدى نفسه ولا ضلالة غيره، وقد أردتم بقذف مقالتكم، إبطال علم الله في خلقه، وإهمال عبادته، وكتاب الله قائم ينقض بدعتكم، وإفراط قذفكم، ولقد علمتم أن الله بعث رسوله والناس يومئذ أهل شرك، فمن أراد الله له الهدى لم تحل ضلالته التي كان فيها دون إرادة الله له، ومن لم يرد الله له الهدى تركه في الكفر ضالا، فكانت ضلالته أولى به من هداه، فزعمتم أن الله أثبت في قلوبكم الطاعة

---

[68]– لم أجد هذا القول في المصادر التي وقعت في يدي.

[69]– سورة البقرة، الآية: 255.

[70]– سورة المؤمنون، الآية: 63.

[71]– سورة هود، الآية: 47.

[72]– سورة ص، الآية: 45-46.

[73]– سورة، فصلت الآية: 42

[74]– لاحظ محقق الحلية في الهامش: «كذا في الأصلين، ولعله: بجوائحه».

والمعصية، فعملتم بقدرتكم بطاعته، وتركتم بقدرتكم معصيته، وأن الله خلو من أن يكون يختص أحدا برحمته، أو يحجز أحدا عن معصيته، وزعمتم أن الشيء الذي بقدر، إنما هو عندكم اليسر، والرخاء، والنعمة، وأخرجتم منه الأعمال، وأنكرتم أن يكون سبق لأحد من الله ضلالة أو هدى، وأنكم الذين هديتم أنفسكم من دون الله، إنكم الذين حجزتموها عن المعصية بغير قوة من الله، ولا إذن منه، فمن زعم ذلك فقد غلا في القول، لأنه لو كان شيء لم يسبق في علم الله وقدره لكان لله في ملكه شريك ينفذ مشيئته في الخلق من دون الله، والله–سبحانه وتعالى– يقول: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [75]، وهم له قبل ذلك كارهون﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ وهم له قبل ذلك محبون، وما كانوا على شيء من ذلك لأنفسهم بقادرين، ثم أخبر بما سبق لمحمد من الصلاة، والمغفرة له ولأصحابه، فقال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[76]، وقال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [77]، فلولا علمه ما غفرها الله له قبل أن يعملها، وفضلا سبق لهم من الله قبل أن يخلقوا، ورضوانا عنهم قبل أن يؤمنوا، ثم أخبر بما هم عاملون آمنون قبل أن يعملوا، وقال ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾[78]، فتقولون أنتم إنهم قد كانوا ملكوا رد ما أخبر الله عنهم أنهم عاملون، وأن إليهم أن يقيموا على كفرهم مع قوله فيكون الذي أرادوا لأنفسهم من الكفر مفعولا، ولا يكون لوحي الله فيما اختار تصديقا، بل لله الحجة البالغة، وفي قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[79]، فسبق لهم العفو من الله فيما أخذوا قبل أن يؤذن لهم، وقلتم لو شاءوا خرجوا من علم الله في عفوه عنهم إلى ما لم يعلم من تركهم لها أخذوا، فمن زعم ذلك فقد غلا وكذب، ولقد ذكر الله بشرا كثيرا وهم يومئذ في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فقال: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ [80]، وقال: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [81]، فسبقت لهم الرحمة من الله قبل أن يخلقوا، والدعاء لهم بالمغفرة ممن لم يسبقهم بالإيمان من قبل أن يدعوا لهم، ولقد

---

[75]– سورة الحجرات، الآية: 7، وكذلك الآية التي بعدها فهي منها.

[76]– سورة الفتح، الآية: 29.

[77]– سورة الفتح، الآية: 02.

[78]– سورة الفتح، الآية: 29.

[79]– سورة الأنفال، الآية: 68.

[80]– سورة الجمعة، الآية: 03.

[81]– سورة الحشر، الآية: 10.

علم العالمون بالله أن الله لا يشاء أمرا فتحول مشيئة غيره دون بلاغ ما شاء، ولقد شاء لقوم الهدى فلم يضلهم أحد، وشاء إبليس لقوم الضلالة فاهتدوا، وقال لموسى وهارون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [82]، وموسى في سابق علمه أنه يكون لفرعون عدوا وحزنا[83]، فقال تعالى:﴿ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [84]. فتقولون أنتم: لو شاء فرعون كان لموسى وليا وناصرا، والله تعالى يقول: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[85]، وقلتم: لو شاء فرعون لامتنع من الغرق، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُغْرَقُونَ ﴾[86] مثبت ذلك عنده في وحيه في ذكر الأولين، كما قال في سابق علمه لآدم قبل أن يخلقه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [87]، فصار إلى ذلك بالمعصية التي ابتلي بها، وكما كان إبليس في سابق علمه أنه سيكون مذموما مدحورا، وصار إلى ذلك بما ابتلي به من السجود لآدم فأبى، فتلقى آدم التوبة فَرُحم، وتلقى إبليس اللعنة فغوى، ثم أهبط آدم إلى ما خلق له من الأرض مرحوما، متوبا عليه، وأهبط إبليس بنظرته مدحورا مذموما مسخوطا عليه، وقلتم أنتم: إن إبليس وأولياءه من الجن قد ملكوا رد علم الله والخروج من قسمه الذي أقسم به، إذ قال: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ. لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[88]، حتى لا ينفذ له علم إلا بعد مشيئتهم.

فما تريدون بهلكة أنفسكم في رد علم الله؟! فإن الله–عز وجل– لم يشهدكم خلق أنفسكم فكيف يحيط جهلكم بعلمه؟! وعلم الله ليس بمقصر عن شيء هو كائن، ولا يسبق علمه في شيء فيقدر أحد على رده، فلو كنتم تنتقلون في كل ساعة من شيء إلى شيء هو كائن لكانت مواقعكم عنده، ولقد علمت الملائكة قبل خلق آدم ما هو كائن من العباد في الأرض من الفساد وسفك الدماء فيها، [89] وما كان لهم في الغيب من علم، فكان في علم الله الفساد وسفك الدماء، وما قالوا تخرُّصًا إلا بتعليم الحكيم لهم، فظن ذلك منهم، وقد

---

[82]– سورة طه، الآية: 43–44.

[83]– نهاية رواية ابن أبي حاتم الرازي مع ما بها من اختصار.

[84]– سورة القصص، الآية: 06.

[85]– سورة القصص، الآية: 08.

[86]– سورة الدخان، الآية: 24.

[87]– سورة البقرة، الآية: 30.

[88]– سورة، ص، الآية: 84–85.

[89]– إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. سورة البقرة، الآية: 30–32.

أنطقهم به، فأنكرتم أن الله أزاغ قوما قبل أن يزيغوا، وأضل قوما قبل أن يضلوا، وهذا مما لا يشك فيه المؤمنون بالله.

إن الله قد عرف قبل أن يخلق العباد مؤمنهم من كافرهم، وبرهم من فاجرهم، وكيف يستطيع عبد هو عند الله مؤمن أن يكون كافرا؟ ! أو هو عند الله كافرا أن يكون مؤمنا؟! والله تعالى يقول ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَ ﴾[90]، فهو في الضلالة ليس بخارج منها أبدا إلا بإذن الله، ثم آخرون اتخذوا من بعد الهدى عِجْلاً جسدا[91] فضلوا به، فعفى عنهم لعلهم يشكرون، فصاروا من أمة قوم موسى، أمة يهدون بالحق وبه يعدلون، وصاروا إلى ما سبق لهم، ثم ضلت ثمود بعد الهدى، فلم يعف عنهم، ولم يرحموا، فصاروا في علمه إلى صيحة واحدة، فإذا هم خامدون، فنفذوا إلى ما سبق لهم أن صالحا رسولهم، وأن الناقة فتنة لهم[92]، وأنه مميتهم كفارا فعقروها، وكان إبليس فيما كانت فيه الملائكة من التسبيح و العبادة، ابتلي فعصى، فلم يُرحم، وابتلي آدم، فعصى فرحم، وهم آدم بالخطيئة فنسي، وهم يوسف بالخطيئة فعصم، فأين كانت الاستطاعة عند ذلك؟! هل كانت تغني شيئا فيما كان من ذلك حتى لا يكون؟! أو تغني فيما لم يكن حتى يكون؟! فتعرف لكم بذلك حجة، بل الله أعز مما تصفون وأقدر، وأنكرتم أن يكون سبق لأحد من الله ضلالة أو هدى، وإنما علمه بزعمكم حافظ، وأن المشيئة في الأعمال إليكم، إن شئتم أحببتم الإيمان فكنتم من أهل الجنة، ثم جعلتم بجهلكم حديث رسول الله الذي جاء به أهل السنة، وهو مصدق للكتاب المنزل أنه من ذنب مضاه ذنبًا خبيثا في قول النبي حين سأله عمر:«أرأيت ما نعمل أشيء قد فُرغ منه، أم شيء نأتنفه؟ فقال : بل شيء قد فرغ منه»[93]، فطعنتم بالتكذيب له، وتعليم من الله في

---

[90]– سورة الأنعام، الآية: 122.

[91]–إشارة إلى قوله تعالى:﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ...الآية﴾. سورة البقرة، الآية: 50–53، سورة الأعراف، الآية: 148.

[92]– إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ... الآية﴾، سورة القمر، الآية: 27–. 30 وكانت معجزة النبي صالح –عليه السلام– لقومه ثمود.

[93]– الحديث أخرجه الترمذي في سننه من طريق ابن عمر باختلاف عما ذكر في المتن، ج4، ص387–388 (كتاب القدر، باب: ما جاء في الشقاء)، ج5، ص270 (كتاب التفسير. باب: تفسير سورة هود). والإمام أحمد في مسنده ، ج 1، ص 29، رقم:196 ، ج2، ص52، رقم: 5140، ج2، ص77، رقم: 5481 طبعة عالم الكتب 1998.

علمه، إذ قلتم: إن كنا لا نستطيع الخروج منه فهو الجبرُ، والجبرُ عندكم الحيف[94] فسميتم نفاذ علم الله في الخلق حيفا! وقد جاء الخبر:«أن الله خلق آدم فنثر ذريته في يده، فكتب أهل الجنة وما هم عاملون، وكتب أهل النار وما هم عاملون»[95]، وقال سهل بن حنيف[96] يوم صفين:«أيها الناس، اتهموا آراءكم على دينكم، فو الذي نفسي بيده لقد رأيتنا يوم أبي جندل[97]، ولو نستطيع رد أمر رسول الله لرددناه، والله! ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلا أسهل بنا على أمر نعرفه قبل أمركم هذا»[98]، ثم أنتم بجهلكم قد أظهرتم دعوة حق على تأويل باطل، تدعون الناس إلى رد علم الله، فقلتم: الحسنة من الله، والسيئة من أنفسنا، وقال

---

[94]– الحيف: الجور والظلم، لسان العرب، م9، ص60، مادة: (حيف).

[95]– الحديث أخرجه الإمام مالك في موطئه عن عمر بن الخطاب باختلاف عما ذكر في المتن وبأطول من ذلك، ص648 (كتاب الجامع. النهي عن القول بالقدر)؛ الطبري: جامع البيان، ج9، ص110، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ... ﴾، الآية، سورة الأعراف. الآية: 172؛ ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص83–85؛ نهاية نص ابن الجوزي ب(...وما هم عاملون).

[96]– سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري: من السابقين إلى الإسلام، شهد بدرا وأحدا وجميع المشاهد مع رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ثم شهد مع الإمام علي–رضي الله عنه– الجمل وصفين، توفي في الكوفة سنة 38هـ. ابن سعد: الطبقات، م3، ق2، ص39–41؛ ابن حجر: الإصابة، م2، ص87.

[97]– يوم أبي جندل: المقصود به يوم صلح الحديبية الذي جرى بين النبي–صلى الله عليه وسلم– وبين مشركي مكة عندما عزم على زيارة مكة سنة 6 للهجرة ومنعته قريش من ذلك. وأبو جندل هو ابن سهيل بن عمرو الذي فاوض رسول الله –صلى الله عليه وسلم– نيابة عن قريش، فلما انتهى من كتابة الشروط المذكورة في المصادر الآتية، حتى جاء أبو جندل يرسف في الحديد إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم– فتعلق به أبوه فرده رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تنفيذا لما جاء في الصلح، فاستغاث بالمسلمين فلم يغنوا عنه شيئا، وأثر فيهم هذا المشهد، فازدادوا غما على غم بعد أن منعوا من دخول مكة، فأمره رسول الله–صلى الله عليه وسلم– بالصبر وأن الله جاعل له فرجا ومخرجا، ثم فر ولحق بأبي بصير بساحل البحر، ولحق به من كان من المستضعفين المسلمين في مكة، فكانوا لا يدعون لقريش شيئا إلا أخذوه، فطلبت من النبي– صلى الله عليه وسلم– أن يضمهم إليه ففعل. أستشهد–رضي الله عنه– في حرب مسيلمة الكذاب اليمامة في خلافة أبي بكر، وقيل بالشام 18هـ. ابن هشام: السيرة النبوية، م2، ص316–319؛ ابن سعد: الطبقات، م2، ق1، ص69 وما بعدها. ابن حجر: الإصابة، ج4، ص34.

[98]– صحيح البخاري، ج5، ص164 (كتاب المغازي. باب: غزوة الحديبية)، ج9، ص123–124 (كتاب الاعتصام. باب: ما يذكر من دم الرأي)؛ صحيح مسلم، ج5، ص175–176 (كتاب الجهاد. باب: صلح الحديبية).

أئمتكم–وهم أهل السنة–: الحسنة من الله في علم قد سبق، والسيئة من أنفسنا في علم قد سبق. فقلتم: لا يكون ذلك حتى يكون بدؤها من أنفسنا كما بدء السيئات من أنفسنا، وهذا رد للكتاب منكم، ونقض للدين، وقد قال ابن عباس حين نجم القول بالقدر: هذا أول شرك هذه الأمة، والله ما ينتهي بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيرا، كما أخرجوه من أن يكون قدر شرا»[99]، فأنتم تزعمون بجهلكم: أن من كان في علم الله ضالا فاهتدى، فهو بما ملك ذلك حتى كان في هداه ما لم يكن الله علمه فيه، وأن من شرح صدره للإسلام، فهو بما فوض إليه قبل أن يشرحه الله له، وأنه إن كان مؤمنا فكفر فهو مما شاء لنفسه، وملك من ذلك لها، وكانت مشيئته في كفره أنفذ من مشيئة الله في إيمانه، بل أشهد أنه من عمل حسنة فبغير معونة كانت من نفسه عليها، وأن من عمل سيئة فبغير حجة كانت له فيها، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وأن لو أراد الله أن يهدي الناس جميعا لنفذ أمره فيمن ضل حتى يكون مهتديا، فقلتم: بمشيئته شاء لكم تفويض الحسنات إليكم وتفويض السيئات، ألقى عنكم سابق علمه في أعمالكم، وجعل مشيئته تبعا لمشيئتكم.

ويحكم! فو الله ما أمضى لبني إسرائيل مشيئتهم حتى أبوا أن يأخذوا ما آتاهم بقوة، حتى نتق الجبل فوقهم كأنه ظله[100]، فهل رأيتموه أمضى مشيئته لمن كان في ضلالته حين أراد هداه، حتى صار إلى أن أدخله بالسيف إلى الإسلام كرها بموضع علمه بذلك فيه؟ أم هل أمضى لقوم يونس مشيئتهم حين أبوا أن يؤمنوا حتى أظلهم العذاب، فآمنوا وقبل منهم، ورد على غيرهم الإيمان فلم يقبل منهم؟ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾[101]. أي علم الله الذي قد خلا في خلقه وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ، وذلك كان موقعهم عنده أن يهلكوا بغير قبول منهم، بل الهدى، والضلالة، والكفر، والإيمان، والخير، والشر بيد الله، يهدي من يشاء، ويذر من يشاء في طغيانهم يعمهون، كذلك، قال إبراهيم: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[102]، وقال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً

---

[99]– أثر ابن عباس أخرجه الإمام أحمد عن محمد بن عبيد المكي بأطول مما ذكر، المسند، ج5، ص21–22، رقم: 3055.

[100]– إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف، ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، الآية 171.

[101]– سورة غافر، الآية: 84–85, وما بعدها تابعة لها.

[102]– سورة إبراهيم، الآية: 35.

مُسْلِمَ ﴾[103]، أي أن الإيمان والإسلام بيدك، وأن عبادة من عبد الأصنام بيدك، فأنكرتم ذلك وجعلتموه ملكا بأيدكم دون مشيئة الله ، وقلتم في القتل: إنه بغير أجل، وقد سماه الله لكم في كتابه، فقال ليحي: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّ ﴾[104]. فلم يمت يحي إلا بالقتل، وهو موت كما مات من قتل منهم شهيدا، أو قُتل عمدا، أو قُتل خطأ، كمن مات بمرض أو فجأة، كل ذلك موت بأجل توفاه، ورزق استكمله، وأثر بلغه، ومضجع برز إليه ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً ﴾[105]، ولا تموت نفس ولها في الدنيا عمر ساعة إلا بلغته، ولا موضع قدم إلا وطأته، ولا مثقال حبة من رزق إلا استكملته، ولا مضجع بحيث كان إلا برزت إليه، يصدِّقُ ذلك قول الله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّ ﴾[106]، فأخبر الله– سبحانه– بعذابهم بالقتل في الدنيا والآخرة بالنار، وهم أحياء بمكة، وتقولون أنتم: إنهم قد كانوا ملكوا رد علم الله في العذابين اللذين أخبر الله ورسوله أنهما نازلان بهم، وقال تعالى:﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾[107]، يعني القتل يوم بدر ﴿ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[108]. فانظروا إلى ما أَرْدَاكُمْ فيه رأيكم وكتابا سبق في عمله بشقائكم– إن لم يرحمكم– ثم قول رسول الله–صلى الله عليه وسلم- :«بُنِي الإسلام على ثلاثة أعمال:

الجهاد ماض منذ يوم بعث الله رسوله إلى يوم القيامة، فيه عصابة من المؤمنين يقاتلون الدجال؛ لا ينقض ذلك جور جائر، ولا عدل من عدل.

والثانية: أهل التوحيد لا تكفروهم، ولا تشهدوا عليهم بشرك.

والثالثة: المقادير كلها خيرها وشرها من قدر الله»[109].

---

[103]– سورة البقرة، الآية: 128.

[104]– سورة مريم، الآية: 15.

[105]– سورة آل عمران، الآية: 145.

[106]– سورة آل عمران، الآية: 12.

[107]– سورة الحج، الآية: 09.

[108]– سورة الحج، الآية: 09.

[109]– الحديث أخرجه أبو داود في سننه عن أنس باختلاف، ج2، ص396–397 (كتاب الجهاد. باب: الغزو مع أئمة الجور) وسعيد بن منصور في سننه، ج2، ص143 (كتاب الجهاد. باب: من قال: الجهاد ماض)، وعبد الرزاق في مصنفه عن الحسن، ج5، ص279. (كتاب الجهاد. باب: الغزو مع كل أمير)، والطبراني في المعجم الأوسط عن علي، وجابر، ج5، ص389–390 رقم: 4772، وانظر الشوكاني: نيل الأوطار، ج8، ص30–31 (كتاب الجهاد والسير. باب: الجهاد فرض كفاية...).

فنقضتم من الإسلام جهاده، ونقضتم شهادتكم على أمتكم بالكفر، وبرئتم منهم ببدعتكم، وكذبتم بالمقادير كلها، والآجال، والأعمال، والأرزاق، فما بقيت في أيديكم خصلة ينبني الإسلام عليها إلا نقضتموها وخرجتم منها»[110].

ذلك هو موقف أمير الواضح من القدريّة، حاشدا كل ما يملك من قدرة علمية، وخبرة وتجارب عن ماضي العرب في جاهليتهم، إضافة إلى علمه بسنة النبي–صلى الله عليه وسلم– وما كان عليه سلف الأمة عله يردهم إلى القصد في الاعتقاد والتخلي عما اعتنقوه من أفكار شادة في علم وقدرته ومشيئته وإرادته، ولكن اتسع القول في القضاء والقدر بعد وفاته–رحمه الله– وكان دعاته أحد الأسباب في سقوط الدولة الأموية .

[110]–أبو نعيم: الحلية، ج5، ص346–353؛ ابن أبي حاتم الرازي: تفسير ابن أبي حاتم، م9، ص2943–2944 رقم: 16692، وقارن برواية أخرى قصيرة جدا عنده، م5، ص1698، رقم: 9058؛ ابن الجوزي: سيرة عمر، ص85–86؛ البغدادي: الفَرق بين الفرق، ص363.